مآلات داعش

إلى أين سيتجه الإرهاب بعد هزيمته في بلاد الشام؟!

د. رفعت سيد أحمد
كاتب وباحث مصري، مدير عام مركز يافا
للدراسات والأبحاث – القاهرة
E – mail: yafafr@hotmail.com

الآن، وقد تبخر تنظيم داعش في بلاد الشام – أو كاد، وبدأت واشنطن تعيد تصنيع بدائل له لتبرير بقائها واستعمارها لشرق الفرات وغربه؛ تتجه الأنظار ناحية المستقبل متسائلةً: إلى أين ستتجه فلول هذا التنظيم وبقاياه من خلايا نائمة أو مستيقظة؟ وبصياغةٍ أخرى: ما هي المآلات المتوقعة لتنظيم كان في نشأته ومساره مصنوعاً وموظفاً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية حتى وإن ادعت محاربتها له خلال السنوات السبع السابقة؟!

لتحصيل الإجابة على التساؤل (المستقبلي) سالف الذكر، سنعرض رؤيتنا للمسألة في إطار النقاط الآتية:

أولاً: في البداية ينبغي العودة إلى الماضي، ماضي النشأة والتأسيس لتنظيم داعش، والذي يمكن أن يلخص لنا اتجاهات المستقبل؛ فنشأة هذا التنظيم تنبئ بأنه كان – وسيظل – عبارة عن جماعة وظيفية، إذ لا يمكن أن يدخل ضمن مفهوم الجماعة الإسلامية التي يفترض أن تكون ذات مبادئ وقيم ومشروع مستقل. فتنظيم داعش ليس سوى جماعة تُستخدم وتوظَّف في إطار مشروع أكبر منها.

بالبحث في تاريخ نشأة جماعة داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام)؛ يحدثنا التاريخ أن هذا التنظيم (أو الجماعة) نشأ في العراق وعُرف بدايةً باسم تنظيم القاعدة، ثم اتخذ له في ١٥ أكتوبر ٢٠٠٦م مسمى (الدولة الإسلامية في العراق)، وذلك على إثر اجتماع مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن معاهدة أو حلف بين

المجموعات المسلحة (حلف المطيبين) ومندوبين عراقيين عن المحتل الأمريكي، وتم اختيار (أبو عمر البغدادي) زعيماً لذلك الحلف، وبعدها تبنى التنظيم المذكور (حلف المطيبين) العديد من العمليات الإرهابية الدامية والنوعية داخل العراق آنذاك. وبعد مقتل أبي عمر البغدادي في ١٩ أبريل ٢٠١٠م أصبح (أبو بكر البغدادي) زعيماً لهذا التنظيم. وشهد عهد أبي بكر البغدادي توسعاً في العمليات النوعية المتزامنة (كعملية البنك المركزي، ووزارة العدل، واقتحام سجني أبو غريب والحوت)، وخلال الأحداث الجارية في سورية - آنذاك - واقتتال الجماعات المسلحة مع الشعب والقوات الحكومية السورية؛ تم تشكيل تنظيم (جبهة النصرة لأهل الشام) أواخر عام ٢٠١١م برعايةٍ أمريكية وقطرية وتركية، وسرعان ما نمت قدرات جبهة النصرة لتصبح في غضون أشهر من أبرز القوى الإجرامية في سورية. وفي ٩ أبريل ٢٠١٣م بثت (شبكة الشموخ الإسلامية) التابعة لتنظيم داعش رسالة صوتية أعلن من خلالها أبوبكر البغدادي دمج فرع تنظيم القاعدة في سورية (جبهة النصرة) مع تنظيم دولة العراق الإسلامية تحت مسمى: الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وكان الراعي لعملية الدمج تلك هي أجهزة المخابرات في تركيا وبعض دول الخليج وبأوامر أمريكية تهدف لتفكيك سورية. وما زالت بقايا هذه الجماعات الإرهابية تقاتل الدولة في سورية والعراق وليبيا حتى الوقت الراهن (٢٠١٨م)، ومارست القتل (ولا تزال) بحق شعوب تلك الدول، فقد قتلت - على سبيل المثال - ما يزيد عن الـ٢٠٠ ألف شهيد من أبناء الشعب السوري، كما استلمت ما يقدر بـ١٥٠ مليار دولار من الممولين النفطيين والأوروبيين لأغراض التسليح والتدريب. وواقع الحال أن تلك الجماعات الإرهابية لم تتوقف عند حدود الدول سالفة الذكر؛ بل بدأت تنتقل إلى مصر (سيناء تحديداً) تحت مسمى (تنظيم داعش ولاية سيناء)، والذي تؤكد التقارير والتحقيقات الاستخبارية السرية تزويد كلٍ من قطر وتركيا وإسرائيل له بالأسلحة المتطورة بما فيها أجهزة الاتصالات والقنابل الفراغية، بل والأسلحة المضادة للطائرات.

يتضح من الحقائق سالفة الذكر أن تنظيم داعش كان منذ نشأته في كنف الاحتلال الأمريكي للعراق وحتى انتقاله إلى سورية عام ٢٠١١م وإلى الوقت الراهن،

جماعة وظيفية تعمل لخدمة منظومة المخابرات الغربية والإقليمية، وتؤدي أدواراً محددة يأتي على رأسها:

(١) تشويه الإسلام المحمدي النقي؛ فما قام به هذا التنظيم وأخواته من التنظيمات الإرهابية في المنطقة يكفي لإدانة الإسلام لمائة عام قادمة، ونكاد – للأسف – نجزم أنه من الصعب تصحيح الصورة النقية للإسلام ما بقي هذا التنظيم وأشباهه موجوداً.

(٢) تفكيك البلاد العربية المركزية، وإشغال جيوشها في معارك داخلية لإبعادها عن هدف الوقوف في وجه أطماع ومصالح تل أبيب وأنقرة.

(٣) خلق سوق مفتوح لتجارة السلاح الأمريكي والإسرائيلي والتركي في المنطقة، وكلما وجد القتل الداعشي راجت تجارة السلاح، وهي تجارة تحركها لوبيات وجماعات كبرى ميزانيتها تفوق ميزانية دول كبيرة في العالم.

(٤) سرقة النفط العراقي والسوري وبيعه بأسعار زهيدة عبر شبكة دولية تنطلق من تركيا وتنتهي في واشنطن[١].

ثانياً: المتأمل للمنابع الفكرية الأصيلة لداعش، سيجد أنها قائمة على مبادئ التكفير ورفض الآخر والشذوذ العقائدي الذي يبتعد كل البعد عن سماحة الإسلام واعتداله. وستظل هذه المبادئ الفكرية والعقائدية حاكمةً لمستقبل داعش ومحددةً لمآلاته وحركته الميدانية المتوقعة في أغلب البلاد العربية التي ابتليت به بعد سورية والعراق، ونقصد بتلك البلاد في الوقت الراهن ليبيا ومصر – تحديداً – ودول أخرى سنأتي على ذكرها عند تفصيلنا حول هذه النقطة لاحقاً.

بالعودة إلى مسألة الأصول الفكرية لتنظيم داعش، يمكن الإشارة إلى العديد من الكتب والمؤلفات الكاشفة لوجود بناء فكري تكفيري متكامل بالفعل، وهو البناء الذي يستمد منه التنظيم أسس تبرير سلوكياته الإجرامية والإرهابية، وينسج من خلاله عوامل الاستقطاب لأتباعه. وبتأمل العناوين – فقط – لتلك الكتب والمؤلفات سنجد ما يؤكد وجود ذلك البناء الفكري التكفيري المتكامل لتنظيم داعش. ولعل من أبرز تلك الكتب والمؤلفات ما يأتي:

١ – د. رفعت سيد أحمد، "حين تصبح داعش جماعة وظيفية"، **جريدة الأهرام المصرية**، ٢٠١٦/٩/٢م.

- كتاب: إدارة التوحش، لأبي بكر الناجي.
- كتاب: ملة إبراهيم، لأبي محمد المقدسي.
- كتاب: معالم في الطريق، لسيد قطب (مرفقاً بحواشٍ ومقدمات "داعشية" جديدة تلائم المرحلة الراهنة التي يمر بها التنظيم).
- كتاب: فصول في الإمامة والبيعة، لأبي منذر الشنقيطي.
- كتاب: مسائل من فقه الجهاد، لأبي عبدالله المهاجر، واسمه الحقيقي (عبدالرحمن العلي)، وهو مصري الجنسية، وله كتاب آخر اسمه: معالم الطائفة المنصورة في بلاد الرافدين،
- كتاب: دعوة المقاومة الإسلامية، لأبي مصعب السوري،
- كتاب: رفع الالتباس عن ملة من جعله الله إماماً للناس، وهو من مأثورات وكتب جهيمان العتيبى (قائد المقتحمين للمسجد الحرام في مكة عام ١٩٧٩م)،
- كتاب: أهل التوقف بين الشك واليقين، لمؤلِفه حلمي هاشم، وهو مصري الجنسية، ويكنى بـ عبدالرحمن شاكر نعم الله،
- كتاب: مد الأيادي لبيعة البغدادي،
- كتاب: أقلام الأنام بميلاد دولة الإسلام في العراق والشام، لمؤلِفه أبي همام بكر بن عبدالعزيز الأثري،
- كتاب: موجبات الانضمام للدولة الإسلامية في العراق والشام، لمؤلفه أبي حسن الأزدي،
- كتاب: المعارضون لدولة المسلمين، لمؤلِفه أبي محمد الأزدي،
- كتاب: البيعة ثم البيعة ثم البيعة، تأليف أبو يوسف البشير،
- كتاب: تنبيه الأيام لما في التفرقة من آثام وأهمية التوحد في دولة الإسلام، تأليف أبو سعد العامل،
- كتاب: نصرة لإعلان دولة الإسلام: متى يعرفون معنى الطاعة، تأليف أبو المنذر الشنقيطي،
- رسالة أصدرها حامد العلم، بعنوان: رد الشبهات عن الدولة الإسلامية شرعية الدولة وصحتها.

بصفة عامة، لم ينته دور شيوخ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) عند تقديم الدعم الفقهي للدولة الوليدة من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، بل إنهم قدموا دعماً آخر من خلال تلك الكتب والمؤلفات؛ إذ تصدوا بها لمعارضي الدولة الإسلامية (داعش). ومن تلك الكتب والمؤلفات كُتُب أبي همام بكر الأثري: (تبصير المُحاجج بالفرق بين رجال الدولة الإسلامية والخوارج) و(خط المداد في الرد على الدكتور إياد) و(الثمر الداني في الرد على خطاب الجولاني) وكلها موجهة لمهاجمة قائد تنظيم جبهة النصرة المناوئ لداعش (الجولاني)، كما أصدر أبو الحسن الأزدي كتاب: (القائد الجولاني بين النصيحة والتغرير)، وأصدر أبو محمد الأزدي (أحوال المعارضين لدولة المسلمين.. تأصيل شرعي)، وكتب أبي عبيدة الشنقيطي: (رفع الحسام نصرة لدولة الإسلام) و(رفع الملام عن دولة الإسلام في العراق والشام).

بدورها قامت الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) عند إعلان تشكيل حكومتها بتأسيس وزارة خاصة للأمور الفقهية والشرعية المتعلقة بالدولة أُطلق عليها اسم (وزارة الهيئات الشرعية)، وتولاها المُلقب بـ "الوزير" أبي عثمان التميمي. حيث وضعت هذه الوزارة كتباً جديدة تترجم الثوابت الشرعية لدى داعش مثل كتاب: (لماذا نقاتل ومن نقاتل؟) و(الدستور ملة الكفار) لأبي حمزة البغدادي، وأصدرت أيضاً كتباً موجهة إلى تنظيم الدولة الإسلامية من الداخل مثل (غاية المجهود في نصيحة الشرط والجنود) لأبي همام بكر الأثري، و(إسكات الرغاء في صحة شروط الدولة للخضوع للقضاء) لأبي عبدالرحمن عبيدة الأثبجي، ويفيد هذا الكتاب بعدم شرعية خضوع أعضاء دولة داعش والمبايعين لها للقضاء المستقل أو التابع للأنظمة الأخرى.

من تلك الإصدارات أيضاً كتب: (لماذا الجهاد ضرورة ملحة؟) و(الموسوعة الأمنية) و(من خفايا التاريخ) عن قصة حياة أبي مصعب الزرقاوي، وكذا مؤلفات أبي حمزة المهاجر (وزير الحرب في دولة العراق الإسلامية والذي قتل عام ٢٠١٠م): (الدولة الدنيوية)، (الوصية الثلاثينية لأمراء وجنود الدولة الإسلامية)، (النبي القائد)، (زاد المهاجر)، وأيضاً مؤلفات أبي الحسن الفلسطيني: (البشرى المهدية لمنفذي العمليات الاستشهادية)، (ردود وتلميحات على منكري العمليات)، وكتب ميسرة الغريب:

(إنما شفاء العي السؤال) و(كشف شبهات المرجفين والمخذِّلين عن الجهاد)، وسلسلة: (بدمائهم نصحوا)، وأيضاً كتاب عز الدين الرصافي (جهاد من لم يحضر الجهاد). كما قام التنظيم - في التوقيت نفسه - بوضع مؤسسة الفرقان تحت وصاية ما يسمى وزارة الهيئات الشرعية، لتصبح إحدى الأذرع الإعلامية لداعش بجانب فروعها كالاعتصام ووكالة الأعماق والشموخ وغيرها.

ذلك إذاً هو الأساس العقائدي والفكري لداعش. ونحن نحسبه الأخطر مستقبلاً، لأنه سيظل مصاحباً للتنظيم حيثما حل، ولأنه يرتبط بالفكر وليس بالأشخاص، وهنا مصدر القلق والخطر الأكبر! وهو لذلك يستوجب مواجهة فكرية وعقائدية واسعة من المؤسسات الإسلامية الكبرى كالأزهر، فالفكر والعقيدة ستظل أقوى من السلاح، هكذا أثبتت تجربة القاعدة وداعش وأخواتهما.

ثالثاً: من الملاحظ أن جيل المؤسسين لداعش قد انتهى، إما قتلاً أو تشريداً، ونحن الآن أمام الجيل الخامس لداعش (إن جاز وصفه بالجيل)، وهو جيل سيكون أشد شراسةً وعنفاً ورغبةً في الثأر والانتقام، وهو جيل بلا قاعدة بيانات حقيقية لدى الدول التي رحلت إليها فلول داعش، ونقصد بتلك الدول تحديداً مصر وليبيا واليمن وبعض دول المنطقة الأخرى. ولعل ما يؤكد حقيقة الانتقال للجيل الجديد (الخامس) هو إلقاء نظرة على أبرز الأسماء التي قُتلت من المؤسسين (الذين كان عددهم وقت التأسيس لداعش ٣١ قيادياً)، فقد قتل من هؤلاء المؤسسين – وفقاً لما تسرب إعلامياً – حوالي ٢٣ قيادياً، منهم:

١- فاضل الحيالي الملقب بأبي مسلم الخراساني،

٢- أبو عبد الرحمن البيلاوي،

٣- أبو مهند السويداوي (والي الأنبار)،

٤- رضوان حمدون أبو جرناس (والي نينوى)،

٥- الشيخ عبدالباسط الأنصاري،

٦- أبو زهراء المحمدي (والي الفلوجة)،

٧- أبو محمد العدناني (المتحدث باسم التنظيم)،

٨- نعمان منصور الزيدي، المعروف بأبي سليمان الناصر لدين الله،

٩- تارخان باتيراشفيلي، المعروف بأبي عمر الشيشاني،

١٠- مصطفى عبد الرحمن (أبو علاء العفري)،

١١- إياد بشار السامرائي الملقب بأبي أنس،

١٢- يونس سالم حسين الجبوري الملقب بأبي حمزة،

١٣- أيوب شيحان الشمري،

١٤- إبراهيم الطويل المتيوتي،

١٥- حسن المصري الملقب بأبي الحارث،

١٦- صلاح مصطفى قره باش،

١٧- أبو علي الخليلي (فلسطيني)،

١٨- فارس يونس الجرجري،

١٩- حجي بكر (سمير الخلفاوي)،

٢٠- صادق جعفر المشهور باسم صلاح الدين،

٢١- نبيل الجبوري المعروف باسم (أبو سياف)، وقد قتل عام ٢٠١٥م بإنزال جوي أميركي في دير الزور،

٢٢- فلاح الكردي أو (أبو عمر السلفي)،

٢٣- وسام نجم عبد زيد.

يتبقى إذاً ثمانية من القادة التاريخيين لداعش الذين يُعتقَد أنهم لا يزالون أحياء أو ربما جرحى، وهم كالآتي:

١- زعيم التنظيم: إبراهيم البدري (عراقي)،

٢- القائد العسكري العام الحالي: أبو سليمان ناصر (عراقي)،

٣- أبو علي الأنباري (عراقي)،

٤- شاكر وهيب (عراقي)،

٥- حسين بلال بوسنيتش (بوسني)،

٦- طارق بن الطاهر بن الفالح العوني الحرزي (تونسي)،

٧- أبو عبدالله الحربي (كويتي)،

٨- القيادي الثامن يعد مجهول الهوية، وكنيته (أبو عبد الرحمن الشامي)، ويُعْتقَد أنه مفتي التنظيم.

ماذا تعني هذه المعلومات؟ إنها ببساطة تشير إلى أننا أمام مرحلة جديدة في عمر هذا التنظيم، مرحلة تستقبل فيها قادة جدد، بأفكار أكثر تشدداً ورغبة في الثأر[١].

رابعاً: أما بالنسبة للدواعش العائدين بعد إنهاء وجودهم المسلح في العراق وسورية، فإن الإحصائيات الرقمية المتوفرة دولياً عنهم تشير إلى أن إجمالي مقاتلي هذا التنظيم قبل هزيمتهم في سورية والعراق كان يقدر بحوالي٦٠ ألف مقاتل (منهم حوالي ٣٠ ألفاً من جنسيات أجنبية وعربية، والباقي من العراقيين والسوريين تحديداً). والتساؤلات المطروحة في الوقت الراهن (٢٠١٨م) هي: إلى أين سيتجه هؤلاء "الداعشيون الأجانب" العائدون من العراق وسورية؟ وهل استعد أحد من حكام ومسؤولي أجهزة الأمن والمخابرات العربية والأجنبية المعنية لسيناريوهات العودة تلك؟ وأي نوع من الإرهاب سيمارسون بعد أن سُدت في وجوههم سبل الحياة الطبيعية؟[٢].

في هذا السياق، يمكن أن نعود إلى الملف المهم الذي أشرف عليه الصحفي المصري أحمد الخطيب، ونشرته جريدة (الوطن) المصرية بتاريخ ٢٣ فبراير ٢٠١٧م تحت عنوان: "الدواعش العائدون"، وكذلك إلى الدراسة التي نشرتها مجلة (ذي أتلانتيك) الأمريكية للكاتبين: كولن كلارك (أستاذ العلوم السياسية في مؤسسة راند وباحث في المركز الدولي لمكافحة الإرهاب) وأمارناث أمارسينجام (الباحث في معهد الحوار الاستراتيجي الأمريكي)، وذلك تحت عنوان: "أين سيذهب مقاتلو داعش بعد أن تسقط الخلافة". حيث ذهبت تلك الدراسات المتخصصة إلى أنه عندما ينتهي الصراع، إما عن طريق القوة أو التسوية عن طريق التفاوض، فإنه من المرجح أن يتفرق أولئك المقاتلون في اتجاهات عديدة عبر الحدود الوطنية، وأنهم سينقسمون

---

١ - في تفصيل ذلك؛ انظر: د. رفعت سيد أحمد، **داعش: خلافة الدم والنار**، القاهرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٢- عنوان هذه الدراسة: (Where Do ISIS Fighters Go When the Caliphate Falls؟)؛ متوفر على الرابط:
https://www.theatlantic.com/international/archive/2017/03/isis-foreign-fighter-jihad-syria-iraq/518313/

إلى ٤ مجموعات: **الأولى:** تلك التي ستلتحق بأبي بكر البغدادي (هذا في حال كان حينها حياً يرزق)، وهم من الدائرة المقربة، ومن المرجح أن يبقوا في خفاء مع أبي بكر داخل العراق وسورية. أما **المجموعة الثانية** من المقاتلين فأسموهم "الوكلاء" أو المرتزقة المحتملين، وهم الذين منعوا من العودة إلى بلدانهم الأصلية. أما **المجموعة الثالثة**، فهم - وفقاً للدراسة - من المقاتلين الأجانب "العائدين"، والذين سيشكلون مصدر القلق الأكبر للعاملين في دوائر مكافحة الإرهاب في أغلب دول العالم التي أتوا منها. وبالنسبة **للمجموعة الرابعة** من المقاتلين العائدين والذين أطلق عليهم الكاتبان مسمى "المقاتلين التنفيذيين"، فسيحاولون إحياء الشبكات النائمة، وتجنيد أعضاء جدد، أو شن هجمات على غرار ما يسمى هجمات "الذئاب المنفردة".

خامساً: يمكننا الآن رصد ملامح عامة لخريطة انتشار داعش مستقبلاً في القارات الثلاث (آسيا، أفريقيا، أوروبا)، وهي خريطة قد تتغير وتختلف وفقاً للمتغيرات العالمية والإقليمية، وذلك على النحو الآتي:

(أ) على المستوى الآسيوي، فإن أفغانستان وباكستان واليمن وبعض دول الخليج ستصبح ملاذاً للعائدين من سورية والعراق، وسيمثلون خطراً كبيراً على الأمن القومي لتلك البلاد.

(ب) أما في أفريقيا، فيعتقد أن الخطر الأكبر سيكون قادماً منها، وفي الصدد ذاته، يمكن رصد الآتي تفصيلاً:

١- داعش في سيناء: تجمع الحقائق المتوفرة حول تنظيم (داعش ولاية سيناء) أن اسمه الأصلي الذي عرف به هو (أنصار بيت المقدس)، وقد عُرف بهذا الاسم منذ عام ٢٠١١م، وتشكل من عناصر فلسطينية سلفية وأخرى بدوية من أهل سيناء. وبعد أن بايع هذا التنظيم أبا بكر البغدادي في ١٠ نوفمبر ٢٠١٤م سُمي (داعش ولاية سيناء)، ويبلغ قوام تعداده الحالي خمسة آلاف عنصر. ويستهدف التنظيم الاستيلاء على الأرض لإقامة الولاية المستقلة، وهو ممول من بعض الدول الخليجية (تحديداً قطر) وتركيا ومخترقاً إسرائيلياً على مستوى التسلح والمعلومات[1].

---

١ - في تفصيل ذلك؛ انظر: د. رفعت سيد أحمد، **داعش ولاية سيناء**، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م.

إن تاريخ الإرهاب والغلو الديني في سيناء يشير إلى أن جذور النشأة لتنظيم داعش في سيناء تعود إلى العام ٢٠٠٤م، حيث ظهر آنذاك تنظيم إرهابي تحت مسمى (التوحيد والجهاد)، والذي إليه تنسب الأحداث الإرهابية التي وقعت في طابا وذهب وشرم الشيخ خلال الأعوام (٢٠٠٤م – ٢٠٠٥م)، وكان يقوده الفلسطيني السلفي (هشام السعيدني) الشهير بـ (أبي الوليد المقدسي)، وهو الرجل الذي تتلمذ على أيدي أبي اسحاق الحوينى وفتاويه التكفيرية القائمة على إلغاء الآخر والشطط الديني. وبعد أن قُتِل السعيدني في عام ٢٠١١م، تعاقب على قيادة التنظيم كل من: (محمد حسين محارب الشهير بأبي منير) الذي لقي مصرعه عام ٢٠١٣م، ليتولى القيادة بعده كل من محمد فريج زيادة (الذي قتل أيضاً) ثم شادي المنيعي وهشام العشماوي، وقد انشق الأخير حديثاً مكوناً تنظيمياً إرهابياً جديداً أسماه (المرابطين)، وتولى كذلك أمور الفتوى وإباحة القتل، وهو يقف خلف عمليات إرهابية كبيرة منها عملية الواحات عام ٢٠١٨م، كما يتواصل (تنظيمياً وتمويلياً) مع الجماعات المسلحة في ليبيا. ولهذه التنظيمات أيضاً دعاة من أبرزهم (حمادين أبو فيصل، محمد عزام، أسعد البيك، سلمى سليم) وغيرهم.

لقد ارتكب تنظيم (داعش ولاية سيناء) أكثر من ١٥٠ حادثاً إرهابياً في سيناء وبعض المحافظات المصرية وفي المنطقة الغربية (على الحدود مع ليبيا)، وبعض تلك الأعمال الإرهابية كان محدود الأثر والصيت، فيما البعض الآخر صاحبه ضجيج دعائي وسياسي واسع مثل: (مذبحتي رفح الأولى والثانية، محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق اللواء محمد إبراهيم، مذبحة كرم القواديس، الكتيبة ١٠١، العريش، تفجير مديريتي أمن القاهرة والمنصورة، اغتيال النائب العام هشام بركات، واقعة الشيخ زويد، إسقاط طائرة الركاب الروسية، اغتيال العميد أركان حرب عادل رجائي، وكذا اغتيال عشرات الضباط والجنود).

إذا ما رصدنا نتائج إرهاب العام الماضي فقط (٢٠١٧م) وفقاً لإحصائية توثيقية[1] سنجد أنه خلال الفترة من يناير ٢٠١٧م إلى نوفمبر ٢٠١٧م وقع حوالي ٢٣٢ هجوماً

١ – لمزيد من التفاصيل؛ انظر: **"تقرير معهد التحرير لسياسات الشرق الأوسط"**، واشنطن، ٢٠١٧م؛ متوفر على الرابط: https://timep.org/

إرهابياً، وذلك مقابل ٨٠٧ حوادث إرهابية خلال عام ٢٠١٦م، ما يعني انخفاض عدد العمليات الإرهابية بنسبة تتعدى ٦٠٪. ولكن العام ٢٠١٧م قد شهد حوادث إرهابية تعد هي الأعنف في تاريخ مصر الحديث على الإطلاق، ولعل أبرزها وأكثرها عنفاً الهجوم على مسجد الروضة الذي نتج عنه استشهاد ٣١١ مدنياً بعد استشهاد العديد من الجرحى متأثرين بإصابتهم، حيث يعد هذا الحادث بمثابة أعنف حادث إرهابي وقع في مصر.

كما رصدت الإحصائية سالفة الذكر ارتفاع أعداد ضحايا الإرهاب من المدنيين خلال العام ٢٠١٧م بشكل غير مسبوق، حيث إنه خلال فترة ٣ سنوات (من ديسمبر ٢٠١٣م وحتى ٢٠١٦م) نتج عن العمليات الإرهابية استشهاد ٥٨٨ مدنياً، وهذا العدد يشمل ضحايا حادث الطائرة الروسية الذي أسفر عن مقتل ٢٢٤ شخصاً كانوا على متنها؛ أما منذ ديسمبر ٢٠١٦م وحتى نوفمبر ٢٠١٧م، أي خلال أقل من عام واحد، فقد أودت الهجمات الإرهابية بحياة ٥٠٧ مدنيين. لكن على الرغم من وقوع عدد كبير من الضحايا المدنيين، فإنه لاتزال الغالبية العظمى من الهجمات الإرهابية تستهدف قوات الأمن؛ حيث إن ٧٦٪ من الهجمات في شمال سيناء خلال العام ٢٠١٧م استهدفت قوات الأمن، وذكرت الإحصائية أن العمليات الإرهابية شمال سيناء خلال ٢٠١٧م (حتى شهر نوفمبر ٢٠١٧م) قد أسفرت عن استشهاد حوالي ٣٩٦ مدنياً و٢٩٢ من قوات إنفاذ القانون، أي إن عدد ضحايا الإرهاب من المدنيين في شمال سيناء خلال ٢٠١٧م يفوق عدد الضحايا من رجال الأمن.

٢- في ليبيا: تتواجد أغلب الجماعات الإرهابية في ليبيا، والتي تضم حوالي عشرة آلاف مقاتل، في منطقتي (سرت) و(درنة)، وقد أسست هذه الجماعات لبنُية إرهابية ذات بعد قبَلي وأيديولوجي، وذلك من خلال جماعات داعش في سرت و(أنصار الشريعة) و(مجلس شورى شباب الإسلام) وبعض عناصر جماعة فجر ليبيا (الفرع الليبي للإخوان المسلمين) وبقايا (الجماعة الإسلامية المقاتلة)، حيث شكلوا معاً تهديداً أمنياً خطيراً على حدود مصر الغربية، كما يتردد أنهم كانوا خلف إنشاء ما

يسمى (جيش مصر الحر) أسوة بالجيش العميل في سورية الذي يقاتل الدولة السورية بتمويل قطري وتركي وتدريب أمريكي.

من أشهر عمليات "داعش ليبيا" قيامه بذبح العمال الأقباط المصريين (٢٠١٥/٢/١٥) والمواطنين الأثيوبيين وتم تسجيل المذبحة في أفلام فيديو ذائعة الانتشار، أساءت للإسلام الذي يتحدث هؤلاء باسمه، فضلاً عن حادثي الواحات الغربية وقتل أقباط المنيا (٢٠١٧م)، بالإضافة لعمليات قتل ممنهج ضد الليبيين المخالفين لهم.

الآن ليبيا أصبحت مقراً رئيسياً لداعش والمقاتلين الأجانب لتقدم بذلك الإجابة الأكبر والأخطر عن مآلات مستقبل داعش، حيث ذهب الآن بالأساس إلى ليبيا وسيناء المصرية وبعض دول المنطقة[1].

٣- في تونس: تنضوي أهم الجماعات الإرهابية في تونس تحت لواء تنظيم يسمى (عقبة بن نافع)، وهو منشق عن تنظيم القاعدة في تونس، ويضم عدة مئات من المتطرفين الإسلاميين الذين قاتل بعضهم في سورية في بدايات الأزمة السورية (مارس ٢٠١١م) ثم عادوا لاحقاً إلى تونس ليرتكبوا مذابح مروعة منها: حادث جبل الشعانبي، متحف باردوا، حادث فندق (إمبريال مرحبا) بسوسة، وغيرها من الأعمال الإرهابية والتي نحسبها ستظل مستمرة.

٤- الجزائر: أغلب الجماعات الإرهابية هناك تنضوي تحت تنظيم (جند الخلافة)، وهو بقيادة (خالد أبي سلمان) متعاوناً مع قيادات تنظيم القاعدة وداعش والتي من أشهر قادتها عبد المالك دوركدال ومختار بلمختار وقوري عبدالملك، وسيكون لهم في المستقبل دور في إعادة إنتاج الإرهاب المتأسلم والمسلح إن لم تتنبه لمواجهته الدولة الجزائرية.

٥- في المغرب العربي: أكبر التنظيمات الداعشية هناك هو (القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)، ووفقاً لبيانات وزارة الداخلية المغربية، فإن ١٣٥٤ مغربياً قد ذهبوا

---

١ -انظر في ذلك: (تقرير) "**المقاتلون الأجانب في ليبيا: التداعيات على أفريقيا وأوروبا**"، (إعداد: هارون ي.زيلين ومايكل ف.فرانكن)، معهد واشنطن للدراسات، فبراير ٢٠١٨م؛ متوفر على الرابط:

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/foreign-fighters-in-libya-consequences-for-africa-and-europe

للقتال في سورية تحت مسميات ودعوات مضللة باسم "الجهاد في سورية"، وأغلبهم الآن يعود متخفياً، وسيمثلون قنابل قابلة للانفجار قريباً.

٦ – **نيجيريا**: يمثل جماعات الإرهاب في نيجيريا وبوضوح وقوة تنظيم (بوكو حرام) بقيادة أبي بكر شيجو، وهو تنظيم إرهابي بات يسيطر على حوالى ٢٠٪ من مساحة نيجيريا التي تعد أكبر دولة أفريقية من حيث التعداد البشرى (١٧٧ مليون نسمة) وأكبر دولة في إنتاج النفط. ولقد بايع التنظيم خلال عام ٢٠١٤م تنظيم الدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق (داعش)، وانضوى تحت لواء الخلافة الخاصة به. ويهدد هذا التنظيم دول الجوار، وهو يضم عدة آلاف من النيجيريين الذين دخلوا فيه لأسباب تتعلق بالفقر والتهميش والمعاداة الطائفية للجنوب المسيحي، ولذلك حاول التنظيم تسمية نفسه (أهل السنة والدعوة والجهاد)، وهو سيمثل خطراً كبيراً – مستقبلاً – على وحدة نيجيريا واستقرارها.

٧ – **في مالي**: تنضوي أهم الجماعات الداعشية في مالي تحت لواء يسمى (الملثمون)، ويعمل في شمال مالي، وكان يقوده الجزائري (مختار بلمختار)، والذي يتردد أنه قتل بعد قيامه بعدة عمليات إرهابية وهدم للآثار الإسلامية. وقد قامت فرنسا بحملة عسكرية موسعة ضد هذا التنظيم بمباركة دول أفريقيا عام ٢٠١٤م، ولاتزال إلى الوقت الراهن (٢٠١٨م) بقايا هذا التنظيم موجود وتمثل خلايا نائمة قد تستيقظ في أي لحظة.

٨ – **الصومال:** يعد تنظيم (الشباب المجاهدين) أهم تنظيم إرهابي في الصومال، وهو عبارة عن جماعة قديمة وسابقة على نشأة داعش في بلاد الشام والعراق، ولكن هذا التنظيم أعلن عام ٢٠١٤م مبايعته لتنظيم داعش بقيادة البغدادي. ويضم التنظيم في عضويته مئات الصوماليين، حيث يجتذبهم عبر وسائل الإغراء الديني والمالي نتيجة الأوضاع الاقتصادية البائسة. وقد هدد هذا التنظيم دولة كينيا بعدة عمليات إرهابية، كما يحاول التنظيم الوصول إلى أثيوبيا والاستيلاء على بعض المواقع والدخول في مناوشات مسلحة مع الدولة الأثيوبية التي تمثل عقبة دينية في وجه تمدد التنظيم (حيث الأغلبية الشعبية في أثيوبيا تدين بالمسيحية).

(ج) مآلات داعش في أوروبا:

تُجمع أغلب الوثائق والتقارير المتوفرة عن مآلات الدواعش الأوروبيين الذين كانوا متواجدين ضمن تنظيم داعش في العراق وسورية، أنهم سيعودون إلى بلادهم ليكونوا بمثابة قنابل موقوتة وخلايا نائمة تستيقظ مفجرة تلك المجتمعات التي صدرتهم إلى بلاد الشام والعراق. إن الانتصارات المتتالية في العراق وسورية على تنظيم داعش وأخواته من الجماعات المسلحة، والتي أنهت وجودها – تقريباً – تطرح سؤالاً تكرر كثيراً دون إجابات قاطعة، والسؤال هو: إلى أين ستتجه العناصر الأوروبية الموجودة في داعش وأخواتها في المرحلة المقبلة؟ صحيح ستبقى بعض خلاياه النائمة وذئابه وتنظيماته الصغيرة المنفردة داخل سورية والعراق، إلا أن المعلومات الاستراتيجية المتوفرة تؤكد أن إحدى الساحات المهمة لعمل داعش الإرهابي القادم هي تلك الساحات التي ساهمت في تخليقه وصناعته كتنظيم، وتأتي الساحة الأوروبية في مقدمتها. وفي تقديرنا، لن تكون هناك دولة أوروبية بمنأى عن عمليات هذه التنظيمات والجماعات المتطرفة، خاصة أن هناك ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف مقاتل أجنبي ضمن تنظيمات التطرف في سورية والعراق وليبيا، منهم على الأقل ١٠ آلاف أوروبي سيعودون إلى بلادهم؛ فهل سيعودون لكي يلعبوا مثلا! أم لكي يكونوا مواطنين صالحين؟! بالطبع لا، فهم سيعودون حاملين ثأراً – وفق تصوراتهم – من المجتمع الأوروبي والغربي الذي خذلهم (وليس أجهزة الحكم فحسب)، لأنه هو الذي موّلهم في البداية، ثم قاتلهم في المرحلة التالية، وبالتالي هم سيعودون مهزومين لكي يثأروا منهم، وكل واحد منهم يمكن أن يشكل تنظيماً جديداً، فليس ضرورياً أن يقوم بالعمليات بنفسه، إنما من خلال التنظيم الذي يمكن أن يشكله، خاصة إذا علمنا أن هذه الدول الأوروبية بها جاليات أفريقية ومغاربية مسلمة تعيش فيما يعرف بأحزمة الفقر في المدن الكبرى (باريس نموذجاً)، حيث يعيشون كمواطنين من الدرجة الثانية، فهؤلاء يمكن أن يكونوا مادة خام لتجنيد المتطرفين في تلك البلاد.

إن أبرز الدول الأوروبية المرشحة لأن تكون مسرحاً للعمل ولانتقال داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى إليها (مثل النصرة والقاعدة وأحرار الشام وغيرها)

خلال الفترة المقبلة، هي (بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، أسبانيا، روسيا، ألمانيا، وغيرها).

ختاماً: سيكون العالم إذاً أمام توسع لرقعة الإرهاب وجغرافيته بعد الانتهاء – تقريباً – من إحدى جولاته في سورية والعراق متمثلة في داعش؛ ولأن الإرهاب باسم الدين يحمل جاذبية عالية لأجيال جديدة من المحبطين[1] ومن الجاهلين بجوهر الدين، والذين يسهل حرف بوصلتهم السياسية بعيداً عن قضايا الأمة المركزية (مثل قضية فلسطين) لتحل محلها قضايا أخرى يريدها "الاستعمار" الذي يحركهم، مثل تفكيك الدول والجيوش المركزية والفتن المذهبية والطائفية، فإن أمثال تلك التنظيمات (خاصةً داعش) ستضعف لكنها لن تموت رغم الضربات التي وجهت لها ورغم تبخرها التنظيمي والجغرافي في بلاد الشام. وذلك لأننا، وطالما بقي هذا الفكر الوهابي المتطرف الذي يمثل المورد الخصب لنمو عقائد الإرهاب، وطالما بقي المحرك الاستعماري الخارجي؛ فإن مآلات داعش تشير إلى أنها لن تموت، وستعيد دورات العنف باسم الدين مجدداً، وسيكتوي بنارها الجميع، خاصةً من ساهم في صناعتها وتوحشها سواء من دول المنطقة أو من الغرب الأوروبي والأمريكي.. والله أعلم.

١- ثمة وجهات نظر مهمة تؤكد على أن داعش تنتقل إلى مرحلة جديدة أشد شراسة وأوسع انتشاراً؛ انظر في ذلك: مقال تحليلي لـ تيري ميسان بعنوان: "**وهم القضاء على داعش**" (ترجمة:سعيد هلالي الشريفي)، موقع شبكة فولتير، فبراير ٢٠١١م؛ متوفر على الرابط:

http://www.voltairenet.org/article199707.html